

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

تعريف الاستشراق بين إشكالية المصطلح وجناية التاريخ

**The definition of Orientalism between the problem of terminology and the
Felony of History**

Benali MESROUA بن علي مَسْرُوءَة

جامعة امحمد بوقرة بومرداس

Mhamed BOUGARA University Boumerdes. Faculty of Lettres and Languages.

Department of Arabic language and Letters

b.mesroua@univ-boumerdes.dz

تاريخ القبول : 2022-03-27

تاريخ الاستلام: 2021-11-13

الملخص:

يتناول هذا البحث مذاهب العلماء في التعريف بظاهرة الاستشراق، التي كثر الحديث عنها من قبل المتخصصين وغير المتخصصين، ولم يراع في تعريفها ضابط الفصل بين ماهية الاستشراق وبين خصائصه وميزاته، فلم تخل جل التعريفات من أحكام مسبقة. إضافة إلى أن أغلب تلك التعريفات اعتمد أصحابها إما على المعنى اللغوي (الجغرافي) للمصطلح، أو على المعنى الاصطلاحي (الحضاري)، فجاءت تعريفاتهم مخلة بالمعنى العام للاستشراق، وتضاربت بذلك الآراء حول تحديد الحقل الذي يُمارَس فيه، وترتب على ذلك أيضا اختلاف في تعريف المستشرق. يحاول هذا البحث إعطاء مفهوم شامل لمصطلح الاستشراق من خلال الجمع بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي (الجغرافي والحضاري)، ضمن ثنائية التعميم والتخصيص، وسيتيح لنا ذلك تحديد مفهوم دقيق للمستشرق، ورفع اللبس عن بعض المصطلحات الأخرى التي يراد لها أن تكون بديلا عن مصطلح الاستشراق، سيما مصطلح الاستعراب.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الاستعراب، المستشرق، الدراسات الشرقية، الدراسات الإسلامية.

Abstract:

This paper deals with the scholars' definitions of the phenomenon of orientalism; which was frequently dealt with by specialists and non specialist, who did not make a clear cut distinction between orientalism and its characteristics and features, henceforth, most of these definitions were not free from prejudices. Additionally, they were based either on the linguistic (geographical) meaning of the term, or the stylistic one (civilizational) and this has affected the general meaning of orientalism, consequently divergent opinions were expressed regarding its field of research and differences were raised while defining the orientalist. This research attempts to give an overall definition to the concept of orientalism through combining the linguistic and the stylistic meanings by a dichotomy of generalization and specification, this will allow us to conceptualize precisely who the orientalist is and raise confusion on other concepts that are intended to substitute orientalism mainly the concept of Arabistic.

Keywords: Orientalism, arabistic, orientalist, oriental studies, islamic studies.

مقدمة:

يتناول البحث اختلاف الباحثين في تعريف الاستشراق، ويبحث في الأسباب التي جعلت من تعريف الاستشراق ميدانا للاختلاف، من خلال تسليط الضوء على بعض التعريفات التي لم يفصل فيها أصحابها بين ماهية الاستشراق وبين خصائصه وميزاته. ويتطرق كذلك إلى تحديد المعنيين العام والخاص للاستشراق، وهو ما ينبغي عليه تحديد مفهوم المستشرق. ويعالج البحث كذلك تقاطع مصطلحي الاستشراق والاستعراب. متبعا في ذلك المنهجين التاريخي والتحليلي، من خلال ثلاثة محاور. يتطرق المحور الأول إلى تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا. وأما المحور الثاني فيعالج مصطلح الاستشراق بين المعنيين العام والخاص، وعلاقته بمصطلح الاستعراب. ويعالج المحور الثالث نشأة الاستشراق وعلاقته بالحركات الهدامة.

المحور الأول: ماهية الاستشراق**أولا- الاستشراق لغة:**

يعود مصطلح (الاستشراق) في أصله اللغوي إلى الجذر الثلاثي (ش ر ق)، والذي تتمحور دلالاته كلها حول معاني (الطلع، والنور، والوضوح...) وغيرها من المعاني الحضارية، إضافة إلى المعنى الجغرافي الذي هو الشرق ضد الغرب. وبرجوعنا إلى المعاجم العربية، نرى أن مفهوم (الشرق) لا يخرج عن هذه المعاني، فـ"الشرق: الشمس... وإسفارها، وحيث تشرق الشمس، والمشرق الضوء يدخل من الباب..."¹. والشرق أيضا موضع شروق الشمس "...يقال: أتيتك كل يوم طلعة شرقه..."². وهذا هو المعنى الجغرافي الخالص للفظ (الشرق)، فهو جهة شروق الشمس، وهو يقابل (الغرب)، أي جهة غروبها. وقد يستعار هذا اللفظ ليُستعمل في أوسع معانيه، التي منها الوضوح والوضاءة، ومن ذلك "...أشرق وجهه، أي أضاءه وتلأأ حسنا"³.

ومن المعاني التي يُشار إليها في هذا المقام أن استخدام مصطلح الاستشراق في حد ذاته - وهو المشتق لغةً من الشرق - لم يكن اعتباطيا، إذ إن مجرد استخدام هذا المصطلح للدلالة على هذا العلم يُعدُّ في حقيقة الأمر اعترافا من الغرب بفضل الشرق عليه - أي على الغرب -؛ "فاستخدام كلمة هذه الدلالة اسما للعلوم تبحث في منطقة معينة تعني اعترافا بأن العلم والمعرفة والإرشاد كان يُطلب من هذه المنطقة، وأن وصفها بالشرق يعني بالمقام الأول أنها المنطقة

التي أشرقت فيها شمس المعرفة، وليس الشمس بمعناها الحسي المعروف"⁴.

ثانيا- الاستشراق اصطلاحا:

اهتم الباحثون بالاستشراق - دراسة وتحليلا - منذ أن اكتملت معالمه وتحدت أطره المعرفية وأصوله التاريخية، فلا يكاد يخلو أي بحث تناول ظاهرة الاستشراق بالدراسة من محاولة لإعطاء تعريف لهذه الظاهرة التي شغلت الدارسين والمفكرين، إلا أن التجربة أثبتت أنه من الصعب إعطاء تعريفات جامعة مانعة لمثل هذه الظواهر الفكرية، وهذا ما لمُسْتَه بالفعل من خلال احتكاكي بالمراجع التي تناولت ماهية الاستشراق، وقرأتي لكثير مما كُتِبَ حول هذا الموضوع.

قبل أن أخوض في التعريف بالاستشراق، أذكر بمسألة هامة جدا، كان قد أشار إليها بعض الباحثين العرب، وهي في الحقيقة لا تتعلق بالاستشراق وحده وإنما تشمل الظواهر كلها، فكرية كانت أم طبيعية...، وهي تتمثل في الفصل بين الخصائص المميزة للشيء، وبين حقيقته وكنهه أثناء تعريفنا إيّاه: فكثير ممن حاولوا تعريف الاستشراق لم يميزوا ولم يفصلوا بين التعريف وبين الخصائص والميزات: فتراهم يخلطون بين مفهوم الاستشراق وبين مميزات، وحتى بينها وبين أهدافه، وهو ما يجعل من تمثّل معناه أمرا صعبا، خاصة على غير المتخصصين. وإن كان الفصل بينها ليس هينا، وفي هذا الصدد يقول سامي سالم الحاج: "إن المفهوم العام للاستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه، ونحن لا نسلم مع من يقول: إنه أسلوبٌ فكري يُزاو له الغرب على الشرق بُغْيَةً السَّيطرة عليه وإخضاعه، لأننا نكون بذلك قد تناولنا أهدافه وأغراضه وليس مجالاته ومفهومه العلمي"⁵. وهو بهذا يرفض ضمينا تعريف إدوارد سعيد للاستشراق إذ يقول: "...الاستشراق كأسلوبٍ غربيٍّ للسيطرة على الشرق، واستبنائه، وامتلاك السيادة عليه"⁶. إلا أن تعريف إدوارد سعيد لم يكن تعريفاً مطلقا، فهو لا يشمل الاستشراق في مرحلته الزمنية والمعرفية كلها، لأنه رُبطَ بمرحلة زمنية معينة، حددها هو نفسه (أي سعيد) بأواخر القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي تميّزت بالأطماع الاستعمارية الأوروبية ضد العالم الإسلامي. وبشاطر الدكتور شايب لخضر الدكتور سامي سالم الحاج الرأي في وجوب عدم تضمين التعريف أحكاما، التي "كان من المفروض أن تُبحث بحثا مستقلا،

أحدهما الآخر، و هي في ذلك تركز على مصطلحين اثنين، هما: المعنى العام للاستشراق (و هو يشمل الاتجاه الأول الذي يعتمد على الجانب الجغرافي)، و المعنى الخاص (و هو يعتمد على أصل نشأة الاستشراق).

و من بين الذين يسلكون هذا الاتجاه التوفيقى الدكتور محمود حمدي زقزوق، الذي يثبت مفهومين اثنين للاستشراق، فهو بالمعنى العام "علم الشرق أو علم العالم الشرقي، و كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه و وسطه و أدناه، في لغاته وحضاراته و أديانه"⁹.

و يُجسّد هذا التعريف المعنى الجغرافي للشرق، الذي يقوم في أساسه على التمييز المطلق بين الشرق باعتباره كتلة واحدة، و بين الغرب باعتباره كتلة واحدة أيضاً، و مما يؤكد هذا المعنى قوله في تعريف المستشرق "...كل عالم غربي..."، و قوله عن موضوع الاستشراق "...الشرق كله: أقصاه و وسطه و أدناه...". فمن شروط المستشرق حسب هذا التعريف أن يكون غريباً، أي ألا ينتمي إلى الشرق، كما أنه لم يميز بين الشرق الإسلامى و غير الإسلامى، فقد جعل الشرق من حيث كونه موضوعاً للاستشراق كتلة واحدة لا تتجزأ، فالشرق كله من أدناه إلى أقصاه هو موضوع للاستشراق. و في هذا المعنى يقول عبد المتعال محمد الجبري: "يراد بالاستشراق دراسة علوم الشرق و أحواله و تاريخه و معتقداته و بيئاته الطبيعية والعمرانية و البشرية، و دراسة لغاته و لهجاته، و طبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي"¹⁰.

و يدافع الدكتور لخضر شايب عن هذه الرؤية، و يعتقد أن أي تعريف آخر للاستشراق خارج إطاره الجغرافي - اللغوي- يعد تحريفاً له¹¹.

و عند رجوعنا إلى المفهوم الغربي للاستشراق، نجد على سبيل المثال الباحث الفرنسى روجير بورتال Roger Portal يُعرّفه بأنه "مجموع المعارف المتعلقة بشعوب الشرق"¹². و قد بنى تعريفه هذا على مفهومه للشرق، الذي يمثل بالنسبة له الشرق بمفهومه الواسع و الشامل، فهو يَضُمُّ إلى جانب الشعوب العربية التي تعيش على ضفتي المتوسط الشرقية والجنوبية، آسيا الوسطى، و الهند، و جنوب شرق آسيا، والصين، و اليابان¹³، و هو التعريف الذي يوافقه عليه غينتر كنييس Günter Kniess الذي يرى أن "الشرق عادة يشمل كل البلدان الواقعة إلى الجنوب و الجنوب الشرقي لقارة أوروبا.

باعتبارها خصائص للاستشراق أو مميّزاتٍ لمرحلةٍ من مراحله..."⁷.

يحاول أصحاب هذا الرأي أن يُعطوا تعريفاً للاستشراق بعيداً عن كلّ حُكْمٍ أو عن ذكر أيّ ميزةٍ يمكن أن يَحيدَ بها التعريفُ عن كونه مجردَ تعريفٍ إلى مجموعةٍ من الأحكام التي يمكن أن تُحدّد أو أن تُوجّه رأيَ القارئ نحو جهةٍ معيّنة تدفعه إلى أن يُكوّنَ رأياً يكون - في أغلب الأحيان - سلبياً و غير دقيقٍ. و رغم هذا كلّهُ يُمكن أن تُفسّر تلك الأحكام التي تصدر عن بعض الباحثين خلال تعريفهم للاستشراق بأنهم قد اعتمدوا في ذلك على أصل نشأة الاستشراق في أوروبا، و التي كانت نشأةً كنسيّةً نصرانيّةً خالصةً، جعلت التّصوير من أولويّاتها.

و من بين هؤلاء الذين أخذوا هذه الأمور بعين الاعتبار فؤاد عبد المنعم الذي عرّف الاستشراق بأنه: "...دراسات أكاديمية يقوم بها غيرُ المسلمين من غير العرب سواءً من الشرق أو الغرب للإسلام عقيدةً و شريعةً و لغةً و حضارةً، بقصد التشكيك في هذا الدّين القويم و إبعاد الناس عنه"⁸، أو أنّهم اعتمدوا على ما شاب الاستشراق خلال فتراتٍ معيّنة نتيجة احتكاكه بحركاتٍ أثّرت فيه تأثيراً بالغاً مثل الاستعمار، و هو ما مرّر معنا سابقاً في تعريف إدوارد سعيد. فلا يمكننا إذن أن نُعرّف الاستشراق بمعزلٍ عن بيئته التي نشأ فيها، أو عن الجهات التي خدمها.

المحور الثاني: الاستشراق والاستعراب

أولاً - الاستشراق بين العموم والخصوص:

يختلف الباحثون اختلافاً كبيراً في تعريفهم للاستشراق، و يذهبون في ذلك مذهبين اثنين مختلفين. و يعود سبب هذا الاختلاف إلى المرجعية التي اعتمدوا عليها في إعطاء تعريف للاستشراق، و هذا ما سوف يؤثّر أيضاً - فيما بعد - على تعريفهم للمستشرق.

لم يجمع الباحثون حتى الآن على تعريف جامع مانع للاستشراق؛ ففيما تذهب طائفة منهم إلى اعتماد المفهوم الجغرافي للشرق، و من ثم بناء مفهوم شمولى حول الاستشراق انطلاقاً من التمايز الجغرافي بين الشرق و الغرب، تذهب طائفة أخرى إلى اعتماد مفهوم منشأ الاستشراق، أي اعتماد أصل نشأته لبناء مفهوم شامل حوله. و تُؤثّر طائفة ثالثة الاستناد إلى كلا الاتجاهين واعتمادهما معاً لتكوين نظرة شاملة حول الاستشراق و إعطائه معنيين اثنين، يتضمن

و من تلك الاعتبارات أيضا طبيعة الدراسات الاستشراقية نفسها، التي اهتمت بشكل واضح وجليّ بكلّ ما هو إسلامي، وليس بكلّ ما هو شرقيّ؛ فقد حظيت الدراسات الإسلامية في الدوائر الاستشراقية باهتمام بالغ جدا، جعلها تحصر الشرق والاستشراق في نطاق معين ومحدد، وتخرجه عن إطاره الجغرافي واللغوي إلى إطاره المعرفي؛ فأصبح الإسلام هو الأصل الذي يُلحق به كلّ ما هو جغرافي. يقول الطيب بن إبراهيم: "...فالمقصود بالشرق هنا، هو الشرق الإسلامي قبل الشرق الجغرافي بكل تراثه و ثرائه و موروته و تنوعه، فأصبح ما هو جغرافيّ يُلحق بما هو إسلامي، وليس العكس. بمعنى أن الموقع الجغرافيّ غير الشرقيّ إن كان سكانه مسلمين يُلحق بالشرق الجغرافيّ، ويصبح سكانه شرقيين. فالاستشراق تجاوز حدود الشرق الجغرافية ليضم لها غرب الجزيرة العربية، ومصر وشمال إفريقيا والأندلس، ويصبح هذا الشرق شرقا إسلاميا، شكل الإسلام خريطته أكثر مما حدّتها الجغرافية. وإذا قسّمنا العالم لشرق وغرب، لما وجدنا الأندلس وشمال غرب إفريقيا يقعان في الشرق، بل يقعان في الغرب المقابل تماما لأوروبا في الجهة الجنوبية"¹⁹.

و يترتب على الاختلاف في تحديد مفهوم الشرق، اختلاف آخر في تحديد من هو المستشرق، ف"رغم أن الباحثين اتفقوا على أن يوصف بالمستشرق كل من تخصص في دراسة الشرق من جوانبه المختلفة، إلا أنهم اختلفوا في تحديد هويته على رأيين اثنين، فمنهم من يطلقه على كل من تخصص في دراسة الشرق غربيا كان أو شرقيا²⁰، ومنهم من يقصر هذا الوصف على الغربي فقط، ويخرج منه الشرقي"²¹.

فإذا أخذنا الانتماء الجغرافي بعين الاعتبار، فإن المستشرق يجب أن يكون شخصا غربيا، لا ينتهي إلى الشرق، فهو إذن "... عالم غربي اهتم بالدراسات الشرقية، عقدية كانت أو تاريخية أو أدبية أو حضارية... إلخ"²².

فالعامل الجغرافي هو المحدد هنا لطبيعة المستشرق وهويته. يتماشى هذا التعريف طردا مع المفهوم الغربي للمستشرق، فهو بالنسبة للغربيين يجب أن يكون من أصل غير شرقي، حتى ينطبق عليه وصف المستشرق بالمعنى الدقيق للكلمة. ويشهد لهذا تجاهل الغرب في كثير من الأحيان بعض من خدموا الاستشراق من أبناء الشرق، و تقديمهم لمن كان ذا أصل أوروبي على الشرقي حتى في منح المناصب التابعة للهيئات الاستشراقية²³. وهو موقف نابع من أساسين اثنين:

وفي الوقت نفسه يتأرجح مفهوم الشرق بين الهوية الأسطورية والواقع المعاصر¹⁴، ويذهب ثيوفيل غوتيه Théophile Gautier المذهب نفسه في كتابه l'Orient¹⁵، الذي يتناول فيه بالدراسة الشرق بمفهومه الواسع، من اليونان إلى اليابان، مروراً بتركيا، وسوريا، وإيران، والهند، والصين، وكذلك الجزائر، والصحراء، وتونس، ومصر.

ولكنّ هذا الرأي لم يكن محلّ إجماع من قِبَل الباحثين، فقد انتقد بعضهم هذا المنهج، واعتبروه ناقصا لا يُعبّر عن حقيقة الاستشراق، وهؤلاء هم الذين يرون أن المعنى الخاص لهذا المصطلح هو الذي يهْمُنَا في الدراسة، فهو بهذا المعنى يمثّل "...الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته و آدابه و تاريخه و عقائده و تشريعاته و حضارته بوجه عام. وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا الإسلامي عندما يطلق لفظ الاستشراق ومستشرق، وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين"¹⁶ فالاستشراق هو كل دراسة غربية تجعل من الشرق الإسلامي موضوعا لها. نلمس في كتابات الغربيين تمييزا واضحا بين الشرق غير الإسلامي وبين الشرق الذي يتميز بخاصية إسلامية، حتى وإن كانت لا ترقى لتمييز إسلامي واضح، فبمجرد وجود هذه الخاصية الإسلامية، فإنه يلحق - على مستوى الاهتمام العلمي الغربي - بالشرق الإسلامي، ومثال ذلك منطقة البلقان التي لها خصوصياتها، فهي لا ينظر إليها كباقي أنحاء أوروبا، وإنما كمنطقة يشكل الإسلام بها تواجدا مقلقا لأوروبا، خاصة في دول مثل رومانيا و بلغاريا، اللتان استفادتتا من العضوية الكاملة في الاتحاد الأوروبي¹⁷.

و يوجّه أصحاب هذا الاتجاه انتقادات للنظرية الجغرافية في تعريف الاستشراق، التي يعتبرونها قاصرة عن إعطائه الوجه الحقيقي لعدة اعتبارات، لعل من أهمّها أنّ المفهوم الجغرافي نفسه غير ثابت من حيث تمييز الغرب عن الشرق، أو بعبارة أخرى تمييز الاستشراق عن موضوعه، حيث "...إنّ تحديد هذا المصطلح جغرافيا غير ممكن نظرا لاختلاف الجهة المحددة منها، فالشرق بالنسبة للألماني مثلا هو غير الشرق بالنسبة للأمريكي، وهو أيضا غير الشرق بالنسبة للباكستاني..."¹⁸ فندسية تحديد الشرق بالنسبة إلى الغرب جغرافيا تجعل المفهوم الجغرافي للاستشراق قاصرا عن إعطاء تحديد دقيق لما هو شرقيّ وما هو غربيّ من حيث كونه موضوعا للاستشراق.

سلطوية أكثر من دلالاته العلمية المعرفية "صحيح أن مصطلح الاستشراق، بالمقارنة مع الدراسات الشرقية أو الدراسات الإقليمية أقل تفضيلاً اليوم لدى المختصين لسببين اثنين: كونه غائماً و عاماً إلى درجة مفرطة، و كونه يتضمن الموقف التنفيذي السلطوي الأوروبي في القرن التاسع عشر، و أوائل القرن العشرين"²⁷.

أما الباحثون العرب فهم يميزون بين مصطلحين أساسيين في هذا السياق، وهما المصطلح الأصل و هو (الاستشراق)، و (الاستعراب)، حيث يفضلون استعمال المصطلح الأول لكل دراسة غربية حول الشرق بمفهومه الواسع، إسلامياً كان أو غير إسلامي، فأى دراسة غربية من هذا النوع يطلقون عليها مصطلح (الاستشراق). و أما مصطلح (الاستعراب) فهو يطلق على كل دراسة غربية حول الإسلام أو العرب، و بهذا المعنى يكون كل (استعراب) استشراقاً، و ليس كل (استشراق) استعراباً، أي إن مفهوم الاستشراق أوسع من مفهوم الاستعراب.

و قد قال بهذا بعض المستشرقين ممن رفضوا أن يوصفوا بأنهم مستشرقون، فادعوا أن الاستشراق أعم من الاستعراب، لأنه قد يشمل بلداناً ليست عربية، كالصين وإيران و الهند مثلاً. و أما الاستعراب فهو يخص البلدان العربية فقط.

و إنما جنحوا إلى ذلك بعدما شاع مصطلح الاستشراق في الأوساط العلمية و تجاوزها ليشمل الأوساط السياسية والعسكرية و غيرها من المجالات الأخرى. فخرج الاستشراق بذلك عن إطاره العلمي، و أضى جزءاً لا يتجزأ من منظومة سياسية و عسكرية.

وصل الأمر بالمستشرقين إلى اقتراح تغيير مصطلح الاستشراق رسمياً خلال أعمال مؤتمر المستشرقين بباريس الذي عقد سنة 1973م. و إذا أردنا أن نفهم السياق الذي عقد خلاله هذا المؤتمر، فعلينا أن نحسن قراءة ما سبقه و ما تلاه من أحداث:

فعلى الصعيد السياسي الدولي أخذت في منتصف الخمسينات بعض الدول استقلالها على غرار تونس والمغرب، بينما كانت الجزائر ما تزال تكافح لانتزاع استقلالها ضد إحدى كبريات القوى العسكرية حينئذ، و أعظم مدرسة استشراقية.

الأول: هو نظرة الغرب الفوقية لكل ما يتعلق بالشرق والشرقيين. الثاني: هو التمييز بين نصارى أوروبا و نظرائهم الشرقيين، الذين يدين أغلبهم بالمذهب الأرثوذكسي، المتعارض في كثير من مبادئه مع المذهب الكاثوليكي السائد في أغلب البلاد الأوروبية.

و أما إذا اعتمدنا الإسلام هُويَّةً و ثقافةً، فإن لفظ المستشرق يطلق على كل من جعل الإسلام موضوعاً لدراسته من غير المسلمين شرقياً كان أو غربياً، فلا اعتبار لانتمائه الجغرافي، كما أنه يفقد صفة المستشرق بمجرد تحوله للإسلام "...فيإذا أسلم الغربي الأوروبي أو الأمريكي تسقط عليه صفة المستشرق، و يصبح شرقياً بالانتماء الديني لا بالانتماء الجغرافي، و يتغلب الشرق الديني على الشرق الجغرافي"²⁴.

ثانياً- الاستشراق و الاستعراب:

لم يقتصر أثر الاختلاف في تحديد مفهوم الاستشراق على تحديد مفهوم المستشرق فقط، و إنما مَسَّ مفهوم مصطلح (الاستشراق) نفسه. و يعود هذا الاختلاف في أساسه إلى الاختلاف حول طبيعة الاستشراق و ظروف نشأته واهتماماته.

فحينما نعود إلى تاريخ هذا المصطلح فإننا نجد أنَّ ظهوره قد جاء متأخراً، حيث إنَّ الدراسات الاستشراقية كانت قد بلغت شوطاً متقدماً قبل أن يظهر مصطلح (الاستشراق). وقد ظهرت كلمة (Orientalist) (مستشرق) في إنجلترا حوالي سنة 1779م، و كلمة (Orientaliste) في فرنسا عام 1799م، و أدرجت كلمة (Orientalisme) (الاستشراق) في قاموس الأكاديمية الفرنسية (Dic. De l'académie française) عام 1838م²⁵.

و هذا المصطلح لم يُعد مرغوباً فيه اليوم في أبعديّات الدول الأوروبية خاصّة، حيث إنها تحاول التعبير عن هذا النوع من الدراسات باستعمال مصطلحات أخرى، مثل (الدراسات الشرقية)، أو (الدراسات الإقليمية)، أو (الدراسات الإسلامية) فقد "استعملت هولندا مثلاً اسم: مكتب مستشار الشؤون الإسلامية، بدلاً من اسم: استشراق. و هو النهج الذي اعتمدته روسيا أيضاً، حيث اتخذت لذلك عدّة أسماء، مثل: معهد الفنون الشرقية، مكتب الشؤون الإسلامية، أكاديمية العلوم الشرقية، جمعية الصداقة الروسية العربية..."²⁶. وقد جنحت تلك الدول إلى هذه الخطوة لما رأت أنَّ مصطلح (الاستشراق) أصبح ذا دلالة سياسية

يرجعها إلى الحروب التي نشبت بين المسلمين و النصارى في الأندلس، و منهم من يتأخر بها إلى الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م.

و بخلاف هذا كله يرجع بعض الباحثين الغربيين البداية الحقيقية للاستشراق إلى قرار المجمع الكنسي بفيينا، الذي أنشئت بموجبه كراسي للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، فقد كان هذا القرار فاصلا بين الاستشراق الرسمي وغير الرسمي فـ"من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، و إن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب يؤرخ لبداية وجود (الاستشراق الرسمي) بصور قرار مجمع فيينا الكنسي في عام 1312م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية..."²⁸ و هي "...باريس، وأكسفورد، و الجامعة البابوية، و بولونيا، و سلمنكا..."²⁹. إنَّ اعتماد هذا التاريخ كبداية للاستشراق، لا يعني أنه لم تكن هناك محاولات استشراقية، إذ غاية ما في الأمر أن هذا التاريخ كان فاصلا بين الاستشراق الرسمي وغير الرسمي، و الحديث عن الاستشراق الرسمي يدل بمفهوم المخالفة على وجود استشراق غير رسمي قبل 1312م، فقد سُجِّلَت محاولات استشراقية من قبل شخصيات أوروبية لامعة، كان أكثرهم من الرهبان و القساوسة، الذين حاولوا الولوج إلى الثقافة العربية الإسلامية من خلال تعلم اللغة العربية. و قد اتسمت تلك المحاولات في البداية بالفردية و عدم التنظيم، و يعود ذلك بالدرجة الأولى إلى العصبية التي تميزت بها العقلية الأوروبية آنذاك تجاه المسلمين، فـ"الحماسة العدائية التي أظهرها أمثال أبولوجيوس و ألفاروس و أتباعهما في الفترة القصيرة الممتدة بين عام 850م و عام 859م، و محاولاتهم غير المجدية لإقناع طبقة الكهنوت المسيحية و عامة الشعب المسيحي (بالمقاومة) و تعطشهم للاستشهاد كل هذا حال دون بذل الجهد الفكري اللازم لمعرفة خصومهم و فهمهم"³⁰.

من بين أولى المحاولات التي سجلها تاريخ الاستشراق في أوروبا، المحاولة التي قام بها "...الراهب الفرنسي جربرت Jerbert، الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام 999م، بعد تعلمه في معاهد الأندلس و عودته إلى بلاده..."³¹. فلم يتعلم جربرت علوم العرب فحسب، بل إنه احتك فعليا بالمسلمين من خلال دراسته في معاهد الأندلس.

ثم توالى المحاولات بعد ذلك لدراسة العلوم العربية والإسلامية من قِبل شخصيات دينية مرموقة، و قد كان من

إعلان الأمم المتحدة سنة 1960م سنة لإنهاء الاستعمار. والعلاقة بين الاستعمار و الاستشراق ليست خفية، و سنشير إليها في ما بعد.

و أما على الصعيد العلمي فقد صدرت كتابات سلطت الضوء على الاستشراق منتقدة إياه، و من تلك الأعمال: مقال أنور عبد الملك "الاستشراق في أزمة" الذي صدر عام 1963م. ثم تلاه كتاب عبد الله العروي "الإيديولوجية العربية المعاصرة" سنة 1967م. و قبل انتهاء العقد السابع من القرن العشرين أصدر إدوارد سعيد كتابه "الاستشراق"، الذي فتح أبواب الانتقادات و التأويلات، و قد قرئ قراءات متعددة من قبل المتعاطفين مع الاستشراق و من قبل معارضيه كذلك. وتكمن قيمة كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد الثقافية في كونه كتب باللغة الإنجليزية من قبل شخص ذي أصول شرقية، تعلم في الغرب، و هو على اطلاع كبير جدا بحوثات الثقافة الغربية ونوازعها. إضافة إلى كونه أستاذا محاضرا في إحدى أرقى الجامعات الغربية.

و إذا كانت هذه المؤلفات قد سعى أصحابها إلى تجلية الاستشراق و سبر كنهه، فإن المستشرقين لم يقفوا دون حراك، بل حاولوا الدفاع عن أنفسهم بطرق مختلفة. فمنهم من اختار طريقا مختصرة فدعا إلى التخلص من مصطلح الاستشراق، و تعويضه بمصطلحات أخرى، و منهم من دافع عنه، مثلما فعل فرانثيسكو غابرييلي سنة 1965م في كتابه "دفاعا عن الاستشراق".

المحور الثالث: نشأة الاستشراق وعلاقته بالحركات

الهدامة:

و يبدو أن التفريق بين مصطلحي الاستشراق و الاستعراب لا يستقيم لأصحابه تماما؛ فإذا كان التمييز بين المصطلحين مُنْأَتٍ نظريا، و هو يقوم على أساس لغوي خالص كما يبدو، فإنه لن يكون مسلما به إجرائيا، نظرا للتداخل بين مصطلحي الاستشراق والاستعراب. و يتحكم في ذلك عاملان أساسيان، هما:

نشأة الاستشراق و علاقة الاستشراق بالحركات الهدامة.

أولا- نشأة الاستشراق:

اختلفت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق، رغم اتفاقها على أنه قد بدأ في مكان ما من أوروبا، إلا أنَّ تاريخ هذه البداية بقي مجهولا غير معروف باتفاق الباحثين جميعهم، فمنهم من يرجع بدايته إلى الحروب الصليبية، و منهم من

الغرب من المسلمين قوة لم تكن متوقعة جعلتهم يبحثون عن أسبابها، وهو الأمر الذي أعطى للحركة الاستشراقية دفعا قويا، خاصة بعدما احتضنتها الكنيسة وتبنتها، وهو ما أدى إلى ظهور اتجاه جديد في أوروبا آنذاك يدعو إلى ضرورة فهم الإسلام بعمق، من أجل السيطرة على المسلمين وذلك بإحلال الجهود التبشيرية محل المساعي العسكرية، وهذا هو الاتجاه الذي كان سائدا في أوروبا آنذاك، وكان من أبرز دعاة روجر بيكون وريمون ليل، ولم يكن قرار مجمع فيينا سنة 1312م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في جامعات أوروبية سوى تجسيدا لأراء روجر بيكون وريمون ليل³⁶، وهو القرار الذي أخرج الحركة الاستشراقية من مجرد جهود انفرادية إلى حركة علمية رسمية، وأكسبها صبغة نظامية (أكاديمية). ثم بعد ذلك توالى إنشاء كراسي اللغة العربية في أنحاء أوروبا جميعها، و"كان أول كرسي للغة العربية قد أنشئ في الكوليج دو فرانس عام 1539م، الذي شغله غليوم بوستيل، الذي درّب أيضا تلاميذ من أمثال سكاليجر"³⁷.

ثانيا- الاستشراق والحركات الهدامة:

حديثنا عن علاقة الاستشراق بالتنصير أو بالاستعمار يرجع بنا الفقهري إلى جذور الاستشراق الأولى، وبالضبط إلى البيئة التي نشأت فيها أولى محاولات التعرف على التراث الإسلامي بشكل خاص، والتي حددت لنفسها حسب السياق التاريخي هدفين اثنين:

أما الأول فهو صد عدوان (الكفار الوثنيين) أي المسلمين ضدّ الديانة النصرانية، من خلال القضاء على الإسلام، الذي أصبح يهدد النصرانية في عقر دارها، وذلك بنقل الصراع من أرض أوروبا إلى ديار الإسلام، من خلال عمليات التنصير³⁸.

و أما الهدف الثاني فهو استرجاع المناطق التي استولى عليها المسلمون، خاصة تلك التي كانت تحت سيطرة النصرانية قرونا عديدة من خلال الحروب الصليبية، وهي الوجه المتقدم أو الممّّد للاستعمار الحديث للعالم الإسلامي.

يتضح لنا من خلال ذلك أن الاستشراق لم يكن في بدايته مستقلا كحركة علمية لها أسسها المعرفية وقواعدها المنطقية، وإنما نشأ على خلفية ترسّبات عقائدية بالدرجة الأولى، وفي ما يلي سنتحدث عن علاقته بالتنصير والاستعمار والصهيونية، وهي التي كان لها الأثر البالغ في تغيير سير العلاقات التاريخية بين الشرق والغرب.

(1) الاستشراق والتنصير:

أبرزها على الإطلاق بطرس الموقر Peter the venerable دير كلوني Cluny (1094م-1156م)، الذي قام بجهود جبارة "...من أجل الحصول على معرفة علمية موضوعية عن الدين الإسلامي، ونقل هذه المعرفة لأوروبا"³². كما قام أيضا "بدرؤ دي ألفونسو Pedro de Alfonso وهو يهودي إسباني، جرى تعميده عام 1106م بتأليف أول كتاب يحتوي على معلومات لها بعض القيمة الموضوعية عن محمد والإسلام"³³، ثم توالى بعد ذلك المحاولات لفهم الإسلام، وقد تميزت تلك المرحلة بميزتين أساسيتين هما:

أ- اهتمام رجال الدين والرهبان الزائد بعلوم العرب والمسلمين، حيث إنهم وقفوا أوقاتهم لتحقيق معرفة كافية وشاملة لهذا التراث.

ب- اعتمادهم في الأخذ والطلب على جامعات الأندلس الإسلامية، التي فتحت أعينهم على هذا التراث الإسلامي الضخم، وشكلت همزة وصل بين الشرق والغرب، فلم يكن الأوروبيون يترددون في الذهاب إلى تلك الجامعات بما فيهم كبار الرهبان ورجال الدين. ولم يكن هؤلاء يقصدون الأندلس من أجل العلوم الإسلامية فحسب، وإنما من أجل التواصل مع الماضي اليوناني أيضا، من خلال ترجمات العرب للنصوص اليونانية القديمة، "...فقد ذهب جيرار دي كريمونا Gerard of Cremona (1114م-1187م تقريبا) إلى طليطلة بحثا عن ترجمات عربية للنصوص اليونانية التي كان يرغب في ترجمتها..."³⁴.

تزامنت هذه المحاولات الاستشراقية مع الحملة الصليبية الأولى التي كان هدفها المعلن استرجاع القدس من أيدي المسلمين، غير أنه لم يكتب لهذه الحملة النجاح، فقد استبسل المسلمون في الدفاع عنها و تفاجأ الأوروبيون بقوتهم، وهذا ما دفع بهم إلى البحث عن سر قوة هؤلاء المسلمين، ومن ثم إلى إيجاد طريق آخر للسيطرة عليهم، وذلك من خلال التنصير، وهذا ما يفسر لنا اهتمام الرهبان البالغ بالعلوم الإسلامية وباللغة العربية "...و يقرر رشت Richter أن دول أوروبا خابت في الحروب الصليبية الأولى عن طريق السيف فأرادت أن تشن على المسلمين حربا صليبية جديدة عن طريق التبشير..."³⁵، فالحروب الصليبية إذا كانت رافدا هائما في تاريخ نشأة الاستشراق؛ فقد شكلت مرحلة جديدة في هذا الاتجاه، حيث مثلت تلك الحروب مجالا حيويا مكن الغرب من الاحتكاك مباشرة بالشرق في مهده الجغرافي الأول، فلمس

جدا بين الشرق والغرب، فقد بدأت هذه الدراسات هناك "...استجابة لحاجات العمل التبشيري، ثم فقدت هذه الدراسات كل جاذبيتها مع سقوط غرناطة عام 1492م، وبقاء الأقلية المورييسكية Morisco فقط التي تتكلم لهجة رومانسية"⁴².

و من الأدلة التي تبرهن على قوة العلاقة التي تربط بين الدراسات الاستشرقية و الحركة التنصيرية، أننا نجد أعلاما في الاستشراق، خاصة في بداياته الأولى، كانوا -جلهم- من رجال الكنيسة، فقد اهتم بتلك الدراسات "...البابا سلفستر الثاني، وقسطنطين الإفريقي، اللذان كانا سلفا لمن جاؤوا بعدهم من القائمين على الحركة التنصيرية في أواخر العصور الوسطى، مثل: جوكيم، ووليم الطرابلسي، وبطرس المكرم (المجل)، و توما الإكويني، ورامون مارتني، ورامون البنيافورتني، و روجر بيكون، ورامون لول، وغيرهم..."⁴³، هذا الأخير لم يكتف بالدعوة جهرا إلى العمل التنصيري، وإنما انخرط فيه و اجتهد، فقد ساعده إتقانه للعربية و حماسه الكبير على التفرغ للتنصير خارج حدود أوروبا "...حتى إنه قد رحل إلى الجزائر، و عقد مناظرة باللغة العربية مع الفقهاء في بجاية عام 1307م، غير أنه لم يفلح في مسعاه التنصيري، ...حث الحكام على إنشاء مدرسة للاهوت و اللغات الشرقية، فحقق له الملك جيمس الثاني رغبته عام 1276م، بإنشاء مدرسة في ميرانار بجزيرة ميورقة لتدريب المنصرين"⁴⁴. ويضاف إلى هذا كله تلك الجهود التي قام بها رجال الكنيسة لفتح مدارس لتعليم اللغة العربية و اللغات الشرقية في أجزاء مختلفة من أوروبا.

هذه المعطيات كلها تجعلنا نجزم بأن نشأة الاستشراق إنما جاءت تبعا لضرورة اقتضتها المصلحة العليا للكنيسة الأوروبية. و إن كانت هذه الحقيقة معلومة لدينا بالضرورة تبعا للحقائق التاريخية المحيطة بنشأة الاستشراق، إلا أن بعض رجالات أوروبا أنفسهم قد اعترفوا بذلك، حينما صرحوا بأن "الدراسات الاستشرقية بالغرب ذات جذور متعددة، فقد نشأت كنشاط تابع لعلم اللاهوت لخدمة مصالحها، خاصة الدينية، ثم اعتمدت كنشاط أكاديمي برعاية من دول هي في الغالب استعمارية"⁴⁵، كما أن "الاستشراق قد خدم وما يزال يخدم أهدافا بعيدة كل البعد عن الطموحات العلمية النبيلة"⁴⁶. و قد كان يوهان فوك قد سبق إلى الاعتراف بذلك

احتضنت الكنيسة البدايات الأولى للدراسات الاستشرقية في أوروبا، و ليس أدل على ذلك من إقبال الرهبان والقساوسة بشكل خاص على تعلم العربية، و مختلف العلوم المتعلقة بها. ولم يكن إقبال هؤلاء على تلك العلوم لهدف علمي، أو لرفع الجهل عن أنفسهم، بل كان اهتمامهم نابعا من عقيدتهم وقناعتهم بضرورة محاربة الإسلام و المسلمين، بعدما فشلت الحملات الصليبية في تحقيق هذا الغرض. عندئذ ازداد إحساس الغربيين بقوة المسلمين، فحاولوا البحث عن طريقة أخرى غير الحل العسكري من أجل الإطاحة بالدولة الإسلامية، فاهتدوا إلى حل بديل، و هو طعن المسلمين في أعز ما يملكون و هو الدين، و ذلك بتشكيكهم في عقائدهم تمهيدا لتنصيرهم، و تحويلهم عن دينهم.

أدرك الغربيون، و في طليعتهم الرهبان و رجال الكنيسة ضرورة الإحاطة باللغة العربية، التي سوف تفتح أمامهم أبواب المسلمين الموصدة، من خلال مخاطبتهم بلسانهم، مما يجعل عملية تنصيرهم أسهل. و هكذا اتجهوا إلى تعلم العربية، وبذلك فتحوا باب الاستشراق على مصراعيه بدافع التنصير، و جاء قرار مجمع فيينا لإعلان لبداية "...سياسة التبشير بوسيلة الاستشراق...تلبية لاقتراح الراهب ريمون لال، الذي جاب إفريقيا الشمالية، و آسيا الصغرى، وأدرك ما للثقافة العربية من أهمية..."³⁹، حيث يمثل هذا القرار في حد ذاته مسوغا دينيا للدراسات الاستشرقية، باعتباره صادرا عن هيئة كنسية أوروبية رسمية، و هذا ما يدل على أهمية هذه الدراسات بالنسبة للتنصير، فالاستشراق يُعد "...أهم وسيلة للتبشير، فهو يقوم عليه، لأن التبشير يتطلب معرفة لغة المبتشر و عاداته و ثقافته لتسهيل عملية التعامل معه و تنصيره، و هذه المعرفة لا تتوفر إلا عند المستشرقين..."⁴⁰. أسهم الاستشراق بشكل رئيسي في تنظيم الحركة التنصيرية، حيث إنه قد نبه القائمين عليها "...إلى أن صراعها مع المسلمين ليس صراعا سياسيا و عسكريا فحسب، وإنما هو صراع ديني، و فكري، و حضاري أيضا..."⁴¹. شكل هذا التوجيه بعثا جديدا للحركة التنصيرية، فقد بث في أصحابها العصبية الدينية التي تدعو إلى نشر تعاليم النصرانية، و هي العصبية التي ما تزال تلازم الاستشراق والتنصير على حدٍ سواء.

و قد اتجه الناس في إسبانيا خاصة إلى دراسة اللغة العربية، نظرا لما تمثله هذه البلاد من نقطة احتكاك هامة

النصرانية، و ذلك بوضع مناهج تعليمية موجهة لهذا الغرض. و من الأمثلة على ذلك ما قام به مستشرقو فرنسا، خاصة في الجزائر، من دعم مطلق للمؤسسة الدينية⁵²، حيث "إن تزعم فرنسا الديني لأوروبا و تحالفها البابوي، و تشبعها بالنزعة الصليبية، كان دائما ينعكس على سلوك مستشرقها ومبشرها... و لم تكن فرنسا تعمل على ذلك في الخفاء، أو بأسلوب غير مباشر..."⁵³، حيث قرّبت فرنسا المستشرقين من دوائرها الحكومية حتى قبل أن تطأ أقدام جنودها أراضي مستعمراتها، و بعد أن تمت لها السيطرة عليها تبوّأ المستشرقون مناصب حساسة في الهيكل الحكومي الفرنسي حيث "... سيطر المستشرقون و المبشرون على التعليم والتربية والثقافة، و ما له علاقة بهذه الأنشطة في الشرق عامة و في البلدان المستعمرة خاصة، فكان التعليم من المراحل الابتدائية إلى التعليم الجامعي و العالي لا يخلو محتواه وبرامجه من المادة التبشيرية، و لا تخلو مؤسسة علمية من أثر أو نفوذ المستشرقين المبشرين، فكتبهم و مجلاتهم ومعاهدهم و مكتباتهم هي الوحيدة في الساحة و لا غنى عنها"⁵⁴. و هذه قائمة بأسماء بعض المستشرقين الفرنسيين الذين انخرطوا في الحركة التنصيرية خاصة في الجزائر⁵⁵:

أبوجي الأب P. L. Abougit. 1819م- 1895م.

بارتيلي الأب P. Barthelemy. 1716م- 1795م.

بواديبار الأب A. P. Boidebar. 1878م- 1955م.

جاردييه لويس Louis Gardet. 1904م- 1986م.

جوليان الأب P. Jullien. 1827م- 1911م.

ميلاد عيسى الأب Millad Aissa. 1912م- 1984م.

هنري لامانس الأب H. P. Lammens. 1862م- 1937م.

و اللافت للنظر أن من بين الأربعين مستشرقاً الذين وردت أسمائهم في هذه القائمة، نجد خمسة و ثلاثين منهم من الآباء، و اثنين من القساوسة، و هو ما يدل بشكل صريح على عمق العلاقة بين الاستشراق و التنصير.

إضافة إلى هذا كله، نجد أنّ كثيراً من رؤساء أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الأوروبية هم من أتباع الكنيسة، على اختلاف درجاتهم في السلم الكنسي، فالقاسم المشترك بينهم هم انتماءهم إلى الكنيسة و خدمة أهدافها من خلال الدراسات الاستشراقية. و من أشهرهم "البروفسور أندرسون-رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الإسلامي في معهد الدراسات الشرقية في جامعة

يقوله: "و لقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن و اللغة العربية..."⁴⁷.

و من هنا يجب علينا أن نتساءل إن كان هذا السلوك الذي سلكه الاستشراق في بداياته الأولى ظهر فقط كَرَرٍ فعلٍ على ظروف تاريخية، أم أنه اتَّجَدَّ منهجاً متَّبَعاً منذ البداية لتحقيق أهداف مستقبلية؟ و للإجابة على هذا التساؤل يجب علينا تتبع المسيرة التاريخية للاستشراق للوقوف على مدى ارتباطه بالحركة التنصيرية.

أشرنا سابقاً إلى أسماء لامعة شكلت تقاطعا جوهريا بين حركتي الاستشراق و التنصير، من مثل: سلفستر الثاني، وبطرس المكرّم (المبجل)، و غيرهما... غير أن مسيرة أرباب الكنيسة لم تتوقف عند هؤلاء فحسب، فقد سجل تاريخ الاستشراق أسماء العديد من رجال الكنيسة ضمن أفراد المستشرقين الذين أبلوا في سبيل نشر النصرانية، فقدّموا لها خدمات جليلة. و يشكل الاستشراق الراعي الحقيقي لأهداف الكنيسة إلى يومنا هذا، فقد أقبل رجالها عليه "... ليتسنى لهم تجهيز الدعاة و إرسالهم إلى العالم الإسلامي، و من أمثال هؤلاء بيننا الآن دكتور جون بادو السفير الأمريكي بالقاهرة، والذي كان من قبل مدير الجامعة الأمريكية بالقاهرة"⁴⁸.

و من بين الأسماء البارزة في مجال التنصير من المستشرقين البروفيسور صاموئيل مورينوس زويمر Samuel Marinus Zweimer الذي نشأ "...منذ نعومة أظافره في بيئة كنسية... و قالت له أمه و هي في لحظة الاحتضار في 1886م بأنها حين وضعته أول مرة في المهد غنت له أن يكون مُنصِّراً"⁴⁹. لم تكن دراسات هذا المستشرق المُنصِّر تهدف إلى "تحقيق فهم دقيق للإسلام، بل كانت من أجل التوصل إلى أفضل الطرق التي يمكن بها تفعيل العملية التنصيرية في الوسط المسلم"⁵⁰. و قد انعكس ذلك على منهجه العملي حيث انضم إلى "إرساليات تنصيرية، كما أسهم في عقد كثير من المؤتمرات، إضافة إلى جمع التبرعات و البحث عن المتطوعين، و قد بلغ به حماسه التنصيري إلى حد الدعوة الصريحة إلى شن حرب صليبية أخرى ضد المسلمين"⁵¹.

يتجلى كذلك دور المستشرقين في عملية التنصير في الأعمال التي كانت توكل إليهم خاصة في مستعمرات بلدانهم، و هي الأعمال التي كانت تركز بشكل أخص على الجانب الروحي و العقدي الموجه إلى أبناء الشعوب المستعمرة، من أجل مسخ هوياتهم الوطنية، و على رأسها الدين، و غرس مبادئ

القائمين عليها يفكرون في تعميق دراستهم للشرق بأسلوب أكثر تنظيماً ودقة وشمولية، من أجل تحقيق هدفين اثنين: التعرف إلى مواطن القوة لدى المسلمين لإضعافها، وإلى مواطن الضعف لاغتنامها، من أجل التمهيد لاستعمار بلدانهم.

و أما بعد الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية عليها، فإن الدراسات الاستشراقية قد أسهمت في إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، و بثت الوهن والارتباك في تفكيرهم، من أجل تحقيق السيطرة التامة عليهم. فالاستشراق قدم خدمات جليلة للحركة الاستعمارية، ولم يكتف بـ"مجرد إضفاء طابع التبرير العقلي على المبدأ الاستعماري، بل كان الأمر... أبعد من ذلك وأعمق، فالتبرير الاستشراقي للسيادة الاستعمارية قد تم قبل حدوث السيطرة الاستعمارية على الشرق، وليس بعد حدوثها. فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته من أجل فرض السيطرة على الشرق، وإخضاع شعوبه وإذلالها"⁵⁹.

إذا كانت الدراسات الاستشراقية في أوروبا قد اشتدت وتيرتها وتضاعفت إبان فترة الحروب الصليبية، فإن الأمر نفسه قد تكرر مع الحركة الاستعمارية الحديثة، التي انتعشت معها هذه الدراسات، وأصبحت تحظى باهتمام وتشجيع كثير من الدول الأوروبية، إدراكاً منها لأهمية تلك الدراسات في تنفيذ وتحقيق مشاريعها التوسعية على حساب الشرق الإسلامي "...حيث أولى الاستعمار للاستشراق على وجه الخصوص مكانة ودوراً محورياً وريادياً لم توله له حتى الحروب الصليبية من قبل"⁶⁰. ويتجلى هذا الاهتمام في اعتماد الدول الاستعمارية على الاستشراق بشكل رئيسي ورسمي، وفق سياسة محددة، حتى أصبح مصير الاستشراق مرتبطاً بمصير الاستعمار قوة وضعفاً، "فالدولتان اللتان أسستا أكبر إمبراطوريتين استعماريّتين في العصر الحديث، وتزعمتا الوصاية والحماية على كثير من بلدان الشرق، كانتا أيضاً هما الدولتان اللتان تزعمتا الاستشراق، وهيمتا عليه أكثر من غيرهما. فالاستشراق في أزهى أيامه وعصوره لم يزد عن كونه نوعاً من أنواع سياسة الوصاية والحماية التي جادت بها عبقرية الغرب في الالتفاف والتسلط على الشرق"⁶¹؛ فكان من الطبيعي ومن المنطقي أيضاً أن يفقد

لندن-، وهو متخرج من كلية اللاهوت في جامعة كامبردج، وكان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية"⁵⁶.

و حتى بعدما انحسر المد الاستعماري، بقي الاتصال وثيقاً بين المؤسستين الاستشراقية والكنسية، فقد بقي المستشرقون خاضعين للجهاز الكنسي وأوفياء له، ويذكر إبراهيم خليل أحمد أعمدة الجهاز الكنسي البروتستانتي لسنة 1960م، ومنها:

"البورد: الهيئة التي توجه المرسلين والمرسلات إلى مختلف الإرساليات في آسيا وإفريقية، وتقوم بتمويل هذه الإرساليات، وتقييمها للمستشرقين والمبشرين بدرجة قناصل وسفراء"⁵⁷.

كما شكلت كتب المستشرقين ومؤلفاتهم -مثلما كانت دائماً- المادة الرئيسية في تكوين طلبة كليات اللاهوت وإعدادهم لمهمة التنصير في أوساط المسلمين، من خلال اعتمادها على كتب المستشرقين في الرد على الإسلام، وكذلك في دراسة العربية، حيث كان للمستشرقين قدم السبق في هذا المجال.

(2) الاستشراق والاستعمار:

إذا كان الاستشراق قد خدم الحركة التنصيرية منذ بداياته الأولى، فإنه لم يتأخر أيضاً عن تقديم خدماته للحركة الاستعمارية منذ بداياتها الأولى، التي تجلت في الحروب الصليبية، والتي مثلت وجهاً متقدماً من أوجه الاستعمار العسكري للبلاد الإسلامية؛ فقد هيأت تلك الحروب ظروفاً ملائمة للأوروبيين للعناية باللغة العربية وآدابها، حيث شعر هؤلاء عشية الحروب الصليبية بأنهم يفتقدون إلى معلومات وافية عن خصومهم المسلمين، واكتشفوا أنهم بحاجة ماسة إلى معرفة خصومهم، والإحاطة بكل ما له علاقة بهم؛ لأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا معروفين بشكل دقيق لدى الأوروبيين، وإن كانوا قد سمعوا عنهم قبل ذلك بزمان طويل. ولم يكن يعدو اهتمام الأوروبيين بالعرب آنذاك بعض المناقشات التي كانت تحدث بين بعض الباحثين فقط "...حول اسمهم المشتق من سارة زوجة إبراهيم، برغم أنهم من سلالة هاجر كما يدل على ذلك اسمهم الثاني « Agareni »"⁵⁸.

خلقت الحروب الصليبية جواً ملائماً لظهور دراسات متعددة حول العالم الإسلامي من أجل السيطرة عليه، غير أن المقاومة الباسلة التي ووجهت بها تلك الحروب جعلت

الاستشراق زعامته التاريخية، بفقدان تلك الدول زعامتها على الشرق.

شكل المستشرقون المحور الذي يوجه مسيرة الحركة الاستعمارية، التي لم يكن ليكتب لها النجاح لولا اعتمادها على المستشرقين الذين لم يدخروا جهداً لخدمة أغراضها، فقد تبوأ عدد منهم أعلى المراتب في الهيئات الحكومية، التي كانت تستنصحبهم. ومن أعظم الأمثلة على ذلك المنزلة التي حظي بها المستشرق الفرنسي الكبير سلفستر دي ساسي، الذي "كان يشغل منصب المستشرق المقيم في وزارة الخارجية الفرنسية، وكان عمله فيها يتمثل في ترجمة نشرات الجيش. وحينما استولى الفرنسيون على الجزائر عام 1830م، تولى ترجمة البيان الموجه إلى الجزائريين، كما كان يستشار بانتظام من قبل وزير الخارجية والحربية حول جميع المسائل المتعلقة بالشرق"⁶². لم يشذ دي ساسي عن غيره من المستشرقين، ف"...معظم مستشقي أواخر القرن التاسع عشر كانوا مشدودين إلى بعضهم بعضاً سياسياً..."⁶³. فرغم أنهم كانوا رجال علم وثقافة، إلا أنهم لم يمتنعوا عن تطويع علومهم وثقافتهم ومعارفهم لخدمة أغراض استعمارية، فقد كانوا "...من الناحية الشكلية والنظرية رجال علم وفكر وثقافة وكتابة وتأليف وتدرّس، ولكن من جهة عملية وميدانية نجدهم متورطين ومتأمرين سياسياً وعسكرياً وتبشيراً واستخباراتياً..."⁶⁴. ولهذا لبى المستشرق آربري النداء في الحرب العالمية الثانية، فقد "...نقل إلى قسم الرقابة على البريد التابع لوزارة الحرب في ليفربول، فأمضى فيه ستة أشهر، نقل بعدها إلى وزارة الإعلام في لندن، فبقي في هذا العمل طوال أربع سنوات يصدر بنفسه، أو مع غيره، منشورات لا نهاية لها للدعاية البريطانية في الشرق الأوسط باللغتين العربية والفارسية، بل إنه ظهر في فيلم للدعاية البريطانية"⁶⁵.

اطرد هذا التواطؤ بين المستشرقين والدول الاستعمارية، حتى أصبح وجود مستشرق ضمن جهاز مخابرات أو وزارة حربية أمراً عادياً، لكثرتهم وشيوعه ووضوح أهدافه. فالمستشرق الهولندي سنوك هيرغرونج مثلاً قد شغل "منصب مستشار للحكومة الهولندية في الشؤون الإدارية لمستعمراتها الأندونيسية المسلمة"⁶⁶. وفي روسيا "كلفّت الحكومة الروسية بارتولد Barthold، مؤسس مجلة "عالم الإسلام" الروسية، بالقيام ببحوث تخدم مصالح السيادة

الروسية في آسيا الوسطى"⁶⁷. وأما المستشرق ميخائيل بيدوروف Mikhael Bederov فإنه لم يكتف بتقديم المشورات والنصائح، وإنما "شارك بنفسه في الحرب العالمية الثانية، كما تولى تدريب إطارات للجيش الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا، ثم عُيّن سفيراً لروسيا في إحدى الدول العربية، كما اتسمت آراؤه بالتعصب الشديد. وقد بلغ به الأمر إلى الإسهام في تأسيس عصابة الأرغون الإرهابية سنة 1935م، التي أصبحت فيما بعد نواة الجيش الإسرائيلي..."⁶⁸. حظي مثل هؤلاء المستشرقين باهتمام دولهم الاستعمارية، كيف لا، وهم من فتح لها أبواب الشرق؛ فقد رافقوا مسيرة الحركة الاستعمارية في جميع أطوارها، ووفروا لها جميع ما كانت تحتاج إليه لبسط سيطرتها ونفوذها على العالم الإسلامي.

رافق المستشرقون طلائع جيوش الاستعمار، وأمدوهم بفرق من المترجمين العسكريين، التي كان أعضاؤها من القساوسة، والمدرسين، والتجار، وكان بعضهم من تلاميذ سلفستر دي ساسي. كما نذر المستشرق الفرنسي لويس برينيه Bresnier نفسه لخدمة الجيش الفرنسي في الجزائر، فأخرج أفواجا من المترجمين (العسكريين والقضائيين) والمدرسين للغة العربية في الجزائر. ولم يكن لبرينيه خيار حيال ذلك، وإنما كان يجب عليه أن ينفذ ما يُطلب منه، لتحقيق أهداف الإدارة الاستعمارية بدقة تامة. فرجال الثقافة والتعليم لم يكونوا أحراراً، وإنما كانوا محكومين بسياسة محددة لهم سلفاً. وتشهد لذلك رسالة المتصرف المدني بريسون Bresson إلى المفتش العام للتعليم، والتي صرح فيها بأن مهمة فرنسا في الجزائر تتوقف على دراسة العربية والتوسع فيها، وعدم الاكتفاء بالمترجمين، وقال بأن إنجاز الاستعمار يتوقف على نجاح برينيه في مهمته، فدروس العربية تلك ليست دروساً عادية، فهي ذات أهمية سياسية، ومنفعة عظيمة، لأنها تحقق مصالح فرنسا الاستعمارية في الجزائر. وقد أصبح إتقان العربية فيما بعد يعطي صاحبه الأفضلية في التوظيف في الجيش الفرنسي، حسب إعلان وزارة الحرب سنة 1853م⁶⁹. وهذا ما يفسر سر اهتمام الإدارة الاستعمارية باللغة العربية، الذي لم يتصف على الإطلاق بأي غرض علمي، وإنما كان هدفه الحصريُّ بسط السيطرة على الشعوب المستعمرة.

1883م إلى جمعية للبحوث الإسلامية، ارتبطت بجامعة موسكو. قسم الدراسات الإسلامية... وفي عام 1891م، ألفت هذه الجمعية وفدا باسم البعثة الأثرية لزيارة البلدان العربية والإسلامية... ومكث الوفد بصفة خاصة طويلا في القدس لدراسة الآثار المرتبطة باليهود، تمهيدا لتحقيق الوطن القومي اليهودي...⁷³.

وقد كان لهذه الخدمات التي قدمها الاستشراق الروسي للحركة الصهيونية الأثر البالغ، فقد تمكنت هذه الحركة من تحقيق هدفها الرئيسي، وهو إقامة وطن قومي لليهود بفلسطين، وهو الهدف الذي لم يكن ليتحقق لولا تضافر جهود الحركة الاستشراقية الأوروبية كلها، كل من موقعه، وحسب طاقته.

لا يشكل هذا الدعم الاستشراقي لليهود جزءا من الماضي، وإنما هو في امتداد دائم. ويعد هذا الدعم بالنسبة لأصحابه مفخرة تستحق الذكر والثناء، "ففي عام 1972م احتفلت هذه الجمعية بذكرى مرور تسعين عام (كذا في الأصل) على تأسيسها عام 1882م، وكان الاحتفال بمركز معهد الدراسات الاستشراقية لأكاديمية العلوم بـموسكو... وفي هذه الذكرى ألقى المستشرق الروسي س.ل. تبخفسكي كلمة جاء فيها: "إن جمعية الاستشراق الروسي قد ساهمت مساهمة فعالة في إنجاز وتحقيق الوطن القومي اليهودي في فلسطين". وكان من اهتمام الجمعية الحفاظ على الآثار التاريخية اليهودية خاصة في فلسطين"⁷⁴.

بعدما ضمن اليهود تكوينا استشراقيا في الجامعات والمعاهد الأوروبية، سعوا إلى نقل تلك المعارف إلى الأرض التي سوف تشهد قيام وطنهم القومي، فحصلوا بذلك على نوع من الاستقلالية العلمية، التي بدأت تتجسد على أرض الواقع بإنشاء معهد للدراسات الشرقية في فلسطين، والذي يعد "...من أوائل المعاهد التي أقيمت في الجامعة العبرية، فقد أنشئ عام 1926م، أي بعد إنشاء أول جامعة صهيونية في فلسطين بعام واحد"⁷⁵.

لم تبدأ هذه المعاهد الاستشراقية الصهيونية عملها في فلسطين من الصفر، فقد أشرنا سابقا إلى أن مدارس الاستشراق الأوروبية قد احتضنت اليهود وأوتهم، حتى بلغ كثير منهم أعلى المراتب العلمية في الجامعات الأوروبية، بل إن أشهر المستشرقين الذين أحدثت دراساتهم ومؤلفاتهم ثورة وضجة في عالم الاستشراق كانوا من اليهود، ومنهم على سبيل

وفي مقابل كل هذه الخدمات التي قدمها المستشرقون للاستعمار، فإن هذا الأخير لم يتنكر لتلك الخدمات، التي حقق بفضلها ما عجزت الجيوش عن تحقيقه، ولذلك قدم لهم بدوره بعض ما كانوا بحاجة إليه، فبعدما أجزل لهم العطاء، وأغدق عليهم الأموال، ورفع عنهم الحواجز، "...سلم لهم الكتب والمخطوطات المنزوعة من أهلها، أو التي تم الاستيلاء عليها وعلى مكتباتها، كما وفر لهم منظومة مؤسساتية استشرافية لا تستطيع إنجازها، وإغداق الأموال الطائلة عليها، إلا الدول الاستعمارية التي ترى فيها خدمة لمصالحها وأهدافها الاستشرافية"⁷⁰.

3) الاستشراق والصهيونية:

لم تتوقف خدمة الاستشراق للاستعمار عند هذا الحد، فقد اتخذ منحى آخر أكثر خطورة من سابقه، حينما وظف العلم لتحقيق أهداف دينية وعنصرية، بلغت أوجها بخدمة أغراض الحركة الصهيونية العالمية، وكانت بدايتها حينما "اندس في الاستشراق يهود كثيرون، فاستغلوا هذا المجال استغلالا واسعا، حتى أمسى عدد وفير من كراسي الأستاذية للدراسات الاستشرافية في الجامعات الغربية يحتله يهود يعملون لتحقيق أهداف يهودية"⁷¹.

استغل اليهود في البداية الدراسات الاستشرافية الأوروبية لتحقيق أكبر قدر ممكن من معرفة الشرق معرفة خاصة، تمكنهم من خدمة أغراضهم التي يعد إقامة دولة يهودية صهيونية أكبرها على الإطلاق. فقد بدأ اهتمامهم بذلك "...مبكرا ضمن مدارس الاستشراق الغربية، وتحت عباها، فقد برز مستشرقون غربيون يهود معنيون بدراسة كل ما هو عربي وإسلامي، ويسير في حركة الاستشراق الغربي، ويحقق أهدافه من ناحية، ويلبي متطلبات الحركة الصهيونية ومقاصدها من ناحية أخرى"⁷².

احتضن الاستشراق الأوروبي اليهود وتكفل بتكوينهم استشرافيا، وتقديم الدعم لهم. وبلغ به الأمر أحيانا إلى تبني أهدافهم بشكل علني، فقد "أنشأت القيصريّة الروسية مثلا سنة 1852م لجنة من المستشرقين والمتخصصين في المسائل العربية، كان من بين أعضائها يهود. هدفها الأول تهيئة الوسائل اللازمة لتقسيم القدس الشريف، وإنشاء بيوت لإيواء اليهود المهاجرين إلى فلسطين، تحت إشراف البعثة الروسية، التي اتخذت القدس الشريف مركزا لها، بدعوى رعاية الكنائس التابعة لها... ثم تطورت هذه الجمعية في عام

وشمعون شامير سفير إسرائيل السابق في مصر، نموذجاً لمجالات عمل من يدرس الاستشراق⁷⁸.

خاتمة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى بعض النتائج الهامة، منها أن مصطلح الاستشراق كان يقصد به في البداية كل دراسة تهتم بالإسلام والعربية (و باللغات الإسلامية) كما يسميها المستشرقون، وهي اللغات الفارسية والتركية، ويمكن أن تضاف إليها الكردية والأردو، وبعض اللغات الشائعة في البلدان الإسلامية الآسيوية.

ارتبط الاستشراق منذ نشأته بالتنصير، وكانت له علاقات متينة بالحركة الاستعمارية، مما جعل منه شيئاً غير مرغوب فيه بين الشعوب الإسلامية والعربية.

نحنا المستشرقون المعاصرون نحو إلغاء مصطلح الاستشراق، واستخدام مصطلحات بديلة، وهي مصطلحات ليست جديدة، بل هي قديمة كذلك، وتؤدي ما يؤديه الاستشراق من أعمال في خدمة التنصير والاستعمار، مثل مصطلحات: الدراسات الإسلامية، والدراسات الشرقية، ودراسات الشرق الأوسط، ودراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بل إن هذا المصطلح الأخير لا يختلف في جوهره عن مصطلح الاستشراق الذي يصنف الدول العربية والإسلامية تصنيفاً حضارياً، ويجعلها كلها في بوتقة واحدة بسبب اللغة أو الدين. ومن ذلك أيضاً مصطلح البحوث الإسلامية؛ فقد حملت إحدى الجمعيات الصهيونية هذا الاسم وعملت تحته على تهيئة فلسطين للاحتلال الصهيوني، ولم يغير اسمها من جوهرها شيئاً. والأمر نفسه يطرد مع مصطلح الاستعراب، الذي لا يحمل أي قرينة براءة للمشغلين به، فالعبرة هنا ليست بالمصطلحات، وإنما بحقائقها وكنهها.

وعطفاً على كل ما سبق يجب أن نشير إلى خطورة المصطلحات، فلا يكفي لتبني مصطلح ما أن ننظر إلى دلالاته اللغوية ونكتفي بها، ظناً منا أنها تكفي للعلم بماهيتها، وإنما يجب أن نحقق النظر في دلالاتها الفكرية والإيديولوجية، ولا يكتفى هنا بما يُنظر له واضعوها، بل يجب أن نمحص في جوانبها الإجرائية.

المثال لا الحصر: داود صموئيل مرجليوث، وإينياس جولد تسيهر.

إلا أن ما يلفت نظرنا في حديثنا عن الدراسات الاستشراقية الصهيونية في فلسطين، هو محاولة اليهود إعطاء تلك الدراسات طابعاً يهودياً صرفاً، فالفرق الجوهرى بين هذه الدراسات وبين تلك التي تمت في أوروبا هو اعتماد اللغة العبرية لغة علم رسمية. ومن أجل تكريس ذلك بدؤوا حملة لترجمة التراث العربى إلى العبرية، حيث "...ترجمت عشرات القصائد العربية القديمة، منها أشعار عنترة بن شداد... كما قام أشير جورين بترجمة مختارات من المعلقات وقصائد من الشعر الجاهلي والأموي والأندلسي والعباسي... ولم تقتصر الترجمة على الأدب الإبداعي، وإنما امتدت لتشمل الأدب الديني، فقام يوسف يُونيل بترجمة معاني القرآن الكريم إلى العبرية..."⁷⁶.

ولم تختلف حال المؤسسة العسكرية الصهيونية عن حال مثيلاتها في الدول الاستعمارية الأخرى، فقد أولت هذه المؤسسة، تدريس اللغة العربية اهتماماً بالغاً، إلى جانب جهاز المخابرات الصهيوني، الذي كان رئيسه "يَهُو شَافَاط هُوكَاي" أستاذاً بالجامعة العبرية، إضافة إلى ترأسه لهذا الجهاز، وكان يستعين في أداء مهامه تلك بدراسة القصة العبرية الحديثة⁷⁷. فعلاقة الجيش بالدراسات العربية كانت وثيقة جداً، إلى درجة أصبح معها الشخص الذي يتقن العربية يتمتع بامتيازات عمّن سواه، تتمثل في الحصول على وظائف قارة في الجيش، وجهاز المخابرات "...وقد أكد ما نشرته المدرسة الثانوية التي تحمل اسم حاييم هرتزوج في موقعها على شبكة المعلومات الدولية... العلاقة الوثيقة والارتباط القوي بين اللغة العربية ودراسة أديها وتراثها والمؤسسة العسكرية في إسرائيل: يدرس الطالب ضمن مناهج اللغة العربية: النحو والأدب القديم والحديث والصحافة والقرآن، مع خلفيات عن تاريخ العرب، والإسلام، والعربية المعاصرة ولهجاتها. ويعمل دارسو اللغة العربية في المدرسة بمهام في الجيش الإسرائيلي، فهناك مهام متنوعة وعديدة أمام الطالب في سلاح الاستخبارات، سواء في الخدمة العسكرية الإجبارية أو الخدمة الدائمة. كما تتاح للمُدرِّسات المجنّدات فرص عمل عديدة في الحياة المدنية والعسكرية، والتدريس، ووسائل الإعلام المختلفة. ويمكن للطلاب أن يتخذوا من البروفسور إيتمار رينوفيتش سفير إسرائيل في الولايات المتحدة،

قائمة المراجع:

• الكتب:

- 1 الطيب ابن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، د.ط. دار المنابع، بني مسوس، الجزائر، 2004م.
- 2 أحمد، إبراهيم خليل: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، د.ط. مكتبة الوعي العربي، الفجالة، مصر، شعبان، 1384، ديسمبر 1964م.
- 3 محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، د. ط. العربية للنشر والتوزيع، 1416/ 1995م.
- 4 عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، ط. 4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م.
- 5 عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط. 1، مطبعة المدني، القاهرة، 1416/ 1995م.
- 6 إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ج. 4، ط. 4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، كانون الثاني/ يناير 1990م.
- 7 ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي. الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج. 1، ط. 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، كانون الثاني / يناير 2002م.
- 8 محمد أحمد صالح حسين: أثر الصراع العربي الإسرائيلي على حركة الترجمة من العربية إلى العربية، سلسلة بحوث و أوراق الندوات و المؤتمرات، ج. 1، رقم: 6، جامعة الملك خالد، السعودية، ذو القعدة 1429.
- 9 ممدوح حسين: مدخل إلى تاريخ الحركة الصليبية، ط. 1، دار عمّار، عمان، 1416 / 1995م.
- 10 : مدخل إلى حركة التنصير، ط. 1، دار عمّار، عمان، 1416 / 1995م.
- 11 سليمان بن سالم بن ناصر الحسيني: الحملات التنصيرية إلى عُمان و العلاقة المعاصرة بين النصرانية والإسلام، د. ط. دار الحطمة، لندن.
- 12 عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة و نقد، بإشراف: مصطفى مسلم، ط. 1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1413/ 1992م.
- 13 السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح. مصطفى حجازي، ج. 25، د.ط. مطبعة حكومة الكويت، 1409/ 1989م.
- 14 محمود حمدي زقزوق: الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. ط.، دار المعارف، القاهرة، 1997م.
- 15 محمد فتح الله الزيايدي: ظاهرة انتشار الإسلام و موقف بعض المستشرقين منها، تصدير: محمد الدسوقي، ط. 1، المنشأة العامة للنشر و التوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، أكتوبر 1983م، 1392 و. ر. 1983م.
- 16 مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم و ما عليهم، د. ط. دار الوراق للنشر و التوزيع، المكتب الإسلامي، د. س.
- 17 أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج. 4، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.
- 18 إدوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، تعريب: كمال أبو ديب، ط. 2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1984م.
- 19 جوزيف شاخ و كليفورد بوزورث: تراث الإسلام، تر. محمد زهير السمهوري و آخرون، تع و تح. شاكور مصطفى، مرا. فؤاد زكريا، ج. 1، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1985م.
- 20 لخضر شايب: نبوة محمد صلى الله عليه و سلم في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.ط. مكتبة العبيكان، الرياض، د. س.
- 21 محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة تحليلية تقويمية، د. ط.
- 22 يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية و الإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تع. عمر لطفي العالم، ط. 2، دار المدار الإسلامي، بيروت، حزيران / يونيو / الصيف 2001 إفرنجي.
- 23 محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج. 3، د.ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1399/ 1979م.
- 24 فؤاد عبد المنعم: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقيدة في الإسلام، ط. 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422/ 2001م.
- 25 عبد الرحمان بن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة و خوافها. التبشير. الاستشراق. الاستعمار. دراسة وتحليل و توجيه و دراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، ط. 8، دار القلم، دمشق، 1420 / 2000م.
- 26 فاطمة هدى نجا: نور الإسلام و أباطيل الاستشراق، ط. 1، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، 1413 / 1993م.
- 27 عبد الله محمد الأمين نعيم: الاستشراق في السيرة النبوية. دراسة تاريخية لآراء بروكلمان، فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط. 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن- فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1417/ 1997م.

28 علي بن إبراهيم الحمد النملة: التنصير، مفهومه و أهدافه و وسائله وسبل مواجهته، د.ط. دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة. 1413 / 1993م.

29 Youssef Courbage et Manfred Kropp : Penser l'Orient, Traditions et actualité des orientalistes français et allemand, Institut français du proche-orient, Orient Institut, Beirut, 2004.

30 Jean Moncelon : Le secret de Louis Massignon. International conference. Louis Massignon : the vocation of a Scholar. University of Notre-Dame, Indiana, USA. October, 2-5, 1997, Les cahiers d'Orient et d'Occident, 2005.

• المقالات:

31 محمد أحمد صالح حسين: لماذا تهتم إسرائيل بالأدب العربي؟، مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد: 514، جمادى الآخرة 1422، سبتمبر 2001م.

32 محمد أسد شهاب: الاستشراق الروسي، مجلة الأمة، عدد: شعبان 1403.

33 Roger Portal : Orientalisme soviétique et Extrême-Orient. Politique étrangère, Volume 13. Numéro 4, Année 1948.

. الهوامش:

- 1 محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج. 3، د. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1399/ 1979 م، ص. 241.
- 2 السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح. مصطفى حجازي، ج. 25، د. ط. مطبعة حكومة الكويت، 1409/ 1989 م، ص. 493.
- 3 إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ج. 4، ط. 4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، كانون الثاني/ يناير 1990 م، ص. 1501.
- 4 عبد الله محمد الأمين نعيم: الاستشراق في السيرة النبوية. دراسة تاريخية لأراء بروكلمان، فلهاوزنن مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط. 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن- فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1417/ 1997 م، ص. 15.
- 5 ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي. الظاهرة الاستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية، ج. 1، ط. 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، كانون الثاني / يناير 2002 م، ص. 22.
- 6 إدوارد سعيدك الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، تعريب: كمال أبو ديب، ط. 2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1984 م، صص. 38-39.
- 7 شايب لخضر: نبوة محمد صلى الله عليه و سلم في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. ط. مكتبة العبيكان، الرياض، د. س. ص. 27.
- 8 فؤاد عبد المنعم: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقديّة في الإسلام، ط. 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422/ 2001 م، ص. 18.
- 9 محمود حمدي زقزوق: الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. ط. دار المعارف، القاهرة، 1997 م، ص. 18. ينظر كذلك: فاطمة هدى نجا: نور الإسلام و أباطيل الاستشراق، ط. 1، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، 1413 / 1993 م، ص. 15.
- 10 عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط. 1، مطبعة المدني، القاهرة، 1416/ 1995 م، ص. 15.
- 11 ينظر: شايب لخضر: نبوة محمد صلى الله عليه و سلم في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص. 27.
- 12 Roger Portal : ينظر: « L’orientalisme est l’ensemble des connaissances qui concernent les peuples de l’Orient »، Orientalisme soviétique et Extrême-Orient. Politique étrangère, Volume 13. Numéro 4, Année 1948.. P. 329.
- 13 Ibid, P. 329.
- 14 « Traditionnellement, le terme (Orient) évoque tous les pays d’outre-mer situés au sud-est de notre continent, l’Europe. En même temps, la définition de l’Orient semble toujours osciller entre une identité mythique et la réalité contemporaine ». Youssef Courbage et Manfred Kropp: Penser l’Orient, Traditions et actualité des orientalistes français et allemand, Institut français du proche-orient, Orient Institut, Beirut, 2004, P. 22.
- 15 ينظر: Théophile Gautier : L’Orient, Paris, G. Charpentier et G^{le}, Editeurs, 1884.
- 16 محمود حمدي زقزوق: الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص. 18.
- 17 Xavier Bougarel : La place de l’islam balkanique dans une Europe élargie, L’islam en Europe (Compte rendu de la table ronde organisée par l’Ifri), Ifri. Vendredi, 10 Mars 2006, Page : 7.
- 18 محمد فتح الله الزيايدي: ظاهرة انتشار الإسلام و موقف بعض المستشرقين منها، تصدير: محمد الدسوقي، ط. 1، المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان، طرابلس، ليبيا، أكتوبر 1983 م، 1392 و. ر. 1983 م، ص. 55.
- 19 الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، د. ط. دار المنابع، بني مسوس، الجزائر، 2004 م، صص. 12-13.
- 20 و من بين هؤلاء مصطفى السباعي، الذي أورد أسماء بعض العرب ضمن قائمة تضم أسماء مستشرقين غربيين. ينظر: مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم و ما عليهم، د. ط. دار الوراق للنشر و التوزيع، المكتب الإسلامي، د. س. ص. 42 و ما بعدها.
- 21 محمد فتح الله الزيايدي: ظاهرة انتشار الإسلام و موقف بعض المستشرقين منها، ص. 60 بتصرف.
- 22 عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم و تفسيره دراسة و نقد، بإشراف: مصطفى مسلم، ط. 1، دار طيبة للنشر و التوزيع، الرياض، 1413/ 1992 م، ص. 23.
- 23 ينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج. 4، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996 م، ص. 28.
- 24 الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، ص. 13. ينظر كذلك صص 16 و 17.
- 25 جوزيف شاخ و كليفور بوزورث: تراث الإسلام، تر. محمد زهير السمهوري و آخرون، تع و تح. شاكور مصطفى، مرا. فؤاد زكريا، ج. 1، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1985 م، ص. 64.
- 26 محمد أسد شهاب: الاستشراق الروسي، مجلة الأمة، عدد: شعبان 1403، ص. 24.

- 27 إدوارد سعيد: الاستشراق. المعرفة، السلطة، الإنشاء، ص. 38.
- 28 محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص. 18.
- 29 محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة تحليلية تقويمية، د. ط. ص. 31.
- 30 جوزيف شاخ و كليفورد بوزورث: تراث الإسلام، ج. 1، صص. 30-31.
- 31 مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص. 18.
- 32 جوزيف شاخ و كليفورد بوزورث: تراث الإسلام، ج. 1، ص. 36.
- 33 المرجع نفسه: ج. 1، ص. 36 بتصرف.
- 34 جوزيف شاخ و كليفورد بوزورث: تراث الإسلام، ج. 1، ص. 38.
- 35 محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق في الفكر الإسلامي، ص. 28.
- 36 ينظر: جوزيف شاخ و كليفورد بوزورث: تراث الإسلام، ج. 1، صص. 44-45.
- 37 ينظر: المرجع نفسه: ج. 1، ص. 53.
- 38 مصطلح التنصير هو المصطلح المعبر بحق عن جوهر الهجمة الصليبية على العالم الإسلامي، وليس مصطلح التبشير الذي أصبح شائعا للأسف حتى بين النخبة، والذي لا يعبر بشكل جلي عن طبيعة الهجمة الشرسة و عن هدفها الذي يتمثل في القضاء على الإسلام. ينظر: ممدوح حسين: مدخل إلى حركة التنصير، دار عتار، عمان، ط. 1، 1416 / 1995م، ص. 6.
- 39 الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، ص. 61.
- 40 المرجع نفسه: ص. 60 بتصرف.
- 41 ممدوح حسين: مدخل إلى تاريخ الحركة الصليبية، دار عتار، عمان، ط. 1، 1416 / 1995م، ص. 85.
- 42 جوزيف شاخ و كليفورد بوزورث: تراث الإسلام، ج. 1، ص. 52. ينظر كذلك: ص. 30.
- 43 ممدوح حسين: مدخل إلى تاريخ الحركة الصليبية، ص. 85 بتصرف.
- 44 ينظر: ساسي الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج. 1، ص. 53.
- 45 « Les études orientales en Occident ont des racines diverses : nées comme discipline auxiliaire de la théologie et servant dès le début des buts pragmatiques, surtout religieux, elles se sont consolidées, et établies comme discipline académique, sous le patronage des Etats nationaux, souvent expansifs et colonialistes ». Youssef Courbage et Manfred Kropp : Penser l'Orient, Traditions et actualité des orientalistes français et allemand, 2004, P. 15.
- 46 « ...l'orientalisme a pu servir et –hélas !- servira des buts bien éloignés des nobles ambitions scientifiques... ». Ibid : P. 15.
- 47 يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تع. عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط. 2، حزيران / يونيو / الصيف 2001 إفريقي. ينظر كذلك صص. 17 و 24.
- 48 إبراهيم خليل أحمد: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، الفجالة، مصر، شعبان، 1384، ديسمبر 1964م، ص. 42.
- 49 سليمان بن سالم بن ناصر الحسني: الحملات التنصيرية إلى عُمان والعلاقة المعاصرة بين النصرانية والإسلام، دار الحطمة، لندن، د. ط. ص. 376.
- 50 ينظر: المرجع نفسه: ص. 382 بتصرف.
- 51 ينظر: المرجع السابق نفسه: ص. 377 بتصرف. ولزيد من التفصيل حول عمل زويمر ينظر: عبد الرحمان بن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافها. التبشير. الاستشراق. الاستعمار. دراسة وتحليل وتوجيه و دراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، دار القلم، دمشق، ط. 8، 1420 / 2000م، و علي إبراهيم النملة: التنصير، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة. 1413 / 1993م، ص. 33 و ما بعدها.
- 52 ينظر علاقة ماسينيون بالتبشير وبالأب فوكو: الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، ص. 65 و ما بعدها. و Jean Moncelon : Le secret de Louis Massignon. International conference. Louis Massignon : the vocation of a Scholar. University of Notre-Dame, Indiana, USA. October, 2-5, 1997, Les cahiers d'Orient et d'Occident, 2005.
- 53 الطيب بن إبراهيم: المرجع نفسه، ص. 75.
- 54 المرجع نفسه: صص. 81-82.
- 55 المرجع السابق نفسه: ص. 69 و ما بعدها. وقد اكتفيت بذكر بعض الأسماء فقط لطول القائمة. وكثرة الأسماء تدل على مدى انغماس الاستشراق وتلطفه بالحركة التنصيرية، كما يدل أيضا على أن الاستشراق اتخذ التنصير هدفا له بطريقة منهجية ومنظمة، و لم يكن عملا انفراديا، بل كان يمثل سياسة رسمية.
- 56 مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم، صص: 65-66 بتصرف. ينظر كذلك صص: 67-68.
- 57 إبراهيم خليل أحمد: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، صص. 29-30.

- 58 جوزيف شاخ و كليفورد بوزورث: تراث الإسلام، ج. 1، ص. 30.
- 59 محمود حمدي رزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص. 50.
- 60 الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، ص. 6.
- 61 المرجع نفسه: صص. 40-41.
- 62 إدوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ص. 146 بتصرف.
- 63 المرجع نفسه: ص. 220.
- 64 الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، ص. 23. ينظر كذلك ص. 9.
- 65 عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط. 4، 2003م، ص. 6.
- 66 إدوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ص. 220.
- 67 محمود حمدي رزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص. 48 بتصرف.
- 68 محمد أسد شهاب: الاستشراق الروسي، ص. 27.
- 69 ينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ص. 29 و ما بعدها.
- 70 الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، صص. 100-101 بتصرف.
- 71 عبد الرحمان بن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة و خوافها، ص. 121 بتصرف.
- 72 محمد أحمد صالح حسين: أثر الصراع العربي الإسرائيلي على حركة الترجمة من العربية إلى العبرية، سلسلة بحوث و أوراق الندوات و المؤتمرات، رقم: 6، جامعة الملك خالد، السعودية، ذو القعدة 1429، ج. 1، ص. 10.
- 73 محمد أسد شهاب: الاستشراق الروسي، صص. 24-25 بتصرف.
- 74 المرجع نفسه: ص. 20 بتصرف.
- 75 محمد أحمد صالح حسين: لماذا تهتم إسرائيل بالأدب العربي؟، مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد: 514، جمادى الآخرة 1422، سبتمبر 2001م، ص. 18.
- 76 محمد أحمد صالح حسين: أثر الصراع العربي الإسرائيلي على حركة الترجمة من العربية إلى العبرية، ص. 18. و للإطلاع على مزيد من أعمال الترجمة إلى العبرية، ينظر: ص. 19 و ما بعدها.
- 77 محمد أحمد صالح حسين: لماذا تهتم إسرائيل بالأدب العربي؟، ص. 19 بتصرف.
- 78 محمد أحمد صالح حسين: أثر الصراع العربي الإسرائيلي على حركة الترجمة من العربية إلى العبرية، صص. 13-14. للتوسع أكثر حول هذا الموضوع ينظر: محمد جلاء إدريس، الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، العربية للنشر و التوزيع، د. ط. 1416/1995م.